داخل الجماعة الى خارجها، بحيث يصبح العدو المشترك عاملاً موحّداً للجماعة». واعتقد فرويد بأنه من الأيسر ان يكره المرء من لا ينتسب الى جماعته؛ وبالتالي، «من المستطاع تحويل الدوافع العدوانية الجماعية الى الخارج»(١٦).

وهكذا يصبح التهويل بخطر العداء العربي، واحتمالات الحرب مع العرب، وظيفة اجتماعية حيوية تمارسها القيادة الاسرائيلية عبر وسائلها التربوية، والتثقيفية، والدعائية، لخلق تماسك اجتماعي سلبي مبني على التوتر النفسي ازاء الخطر الخارجي. وترتفع وتيرة التهويل بالخطر الخارجي كلما تفاقمت المشكلات الداخلية، حيث يوضع العداء العربي خارج اطاره التاريخي، فتصوّر النخبة الحاكمة لجمهورها ان صراعها مع المحيط انما هو صراع من أجل البقاء، وانهم في حالة انعدام الخيار، ممّا يؤدي الى خلق مناخ نفسي يتميز بالاحساس بالحصار، وتركيز فكرة الخوف من خطر الابادة الذي يمثّله العدو الخارجي، فضلاً عن انفلات مشاعر الاستعلاء، والعنصرية، والميول العدوانية الاصلية، والمكتسبة، في محيط الجماعة الاستيطانية.

وبصورة من الصور، فان مقولة العداء العربي تشكل استمراراً، وتطويراً، لمقولة اللاسامية. واذا كانت الحركة الصهيونية حاولت جعل ذلك العامل السلبي (اللاسامية) هو أساس حركة اليهود في الجغرافيا والتاريخ، فان النخبة الحاكمة في اسرائيل سعت، ولا تزال تسعى، الى اسقاط محتوى اللاسامية على العربي، بحيث يصبح العداء للعرب والخوف منهم هو الجامع المشترك الذي يتوحّد على أساسه الاسرائيليون.

غير ان المشكلة التي واجهت الصهيونيين، عقب قيام اسرائيل، هي ان العداء العربي لاسرائيل قلّما تجسّد في صورة حرب حقيقية، أو تهديد جدي بالحرب. فبعد هزيمة الجيوش العربية في حرب العام ١٩٤٨، كانت التقديرات الاسرائيلية تشير الى انه لن يكون بمقدور العرب، ولسنوات طويلة مقبلة، شنّ حرب ضد اسرائيل، وان الخلافات العميقة التي نشبت بين الأنظمة العربية، بعد هزيمتها، تبعد احتمال قيام حلف عسكري عربي موجّه ضد اسرائيل.

ولكن، ونظراً الى حاجة القيادة الاسرائيلية الى الاستمرار في التلويح بفزّاعة الخطر العربي الداهم، فقد كان لا بد من اختلاق خطر عربي وهمي، بل واستفزاز الدول العربية لاستجرار ردود فعلها، من أجل الحفاظ على حالة التوتر الضرورية لصهر اليهود الاسرائيليين في بوتقة الدولة على نار حامية.

وقد بيّن موشي شاريت، في مذكراته، أهمية خلق المشكلة الأمنية ـ مع عدم وجودها في الحقيقة ـ من خلال تعليقه على حديث لموشي دايان حول ضرورة اقناع شباب اسرائيل بأنهم مهددون بالحرب. قال شاريت: «والنتائج التي يمكن استخلاصها من كلام دايان هي في غاية الوضوح: هذه الدولة ليس لديها أية التزامات تقلقها على المستوى الدولي؛ كما أنها لا تلقي بالاً للمشاكل الاقتصادية؛ أمّا مسألة الأمن، فهي غير موجودة أساساً... عليها أن تعيش على الروح المعنوية العالية لدى مواطنيها، لتحافظ على المستوى المطلوب من التوتر. ومن أجل الوصول الى هذه الغاية، من الممكن، بل من الواجب، ان نختلق الأخطار. وهكذا، على اسرائيل أن تلجأ الى اسلوب الاستفزاز، ومن ثمّ الانتقام»(١٧).

وانسجاماً مع هذه القاعدة، يصبح افتعال التوتر، وتصعيده، سياسة ثابتة تحتل مركزاً هاماً بين أولويات القيادة الاسرائيلية؛ وهي تتقدم، أحياناً، على الكثير من المتطلبات الحيوية بالنسبة الى أية دولة عادية. فاذا كان السلام هدفاً تسعى اليه أية دولة مسالمة، فانه يبدو، في المنظور الاسرائيلي،